ثلاثة آراء فأيها المصيب

عبد المجيد يوسف العنبرى

الأدب العربى ، هو أدب رائع وجميل ، حاز فى سابقه مكانة رفيعة بين أدب العالم ، بل إن الأدب العربى القديم قد احتل المكانة الثانية بين آداب العالم القديمة .. أما فى حاضرنا ، فإنه لا يزال يحبو ويتعثر . يكبو ، ليقوم ، ثم يكبو .. وهو بين هذا وذاك تجتاحه عواصف هائجة من الآراء المضطربة ، تكاد أن تئده وهو لا زال طفلا رضيعا . . فلا هو بمستقر على حال ، لينهض على قدميه .. ثم ينمو ويكبر ، فيتعالى شامخاً رفيع المكانة . ويحتل منزلته السابقة . . فهو يضطرب بين آراء عدة وتوجيهات مختلفة . . ونتقى منها ثلاثة آراء تحتل حلبة السباق متصارعة ، متلاحمة . . فمنها ما تتطرف ، فتصل حداً خطراً . وتتراجع فينمحى معها كل صبغة عصرية للأدب . . فالأدب يجب أن تحدد غايته وأهدافه ، والوسيلة التى يستعان بها لتحقيق هذه الأهداف . وأدبنا الحاضر يضطرب بين ثلاثة آراء . . رأى يبعد بنا جداً حتى ليطمس من هذا الأدب كل طابع عربى . . فهو يلح على أن نطبع أدبنا العربى الصميم بطابع غربى . . فنستمد وحيه من هذا السبيل . . ونتقى من أدبنا كل عنصر عربى شرقى .. وهذا الرأى ينكر على أبناء العربية ، كل الأفكار . أن يعود إلى الأدب العربى القديم . فيتبصر به ، ويرى أى شأو وصل إليه أدباؤنا السابقون وما يحويه هذا الأدب من الحكمة والجمال والذوق الفنى..

يريد هذا الرأى أن تنزوى كل هذه الآداب ، فى زاوية النسيان والإهمال .. وأن لا نستمد أى وحى منها .. لأنها لا تطابق عصرنا ولا تعالج واقعنا . . أما الرأى الثانى ، فهو يرى فى هذا الأدب الجديد ، الذى تنحدر إلينا أصوله من الغرب. وإن هذا النوع الجديد من الأدب ، لخطر على عاداتنا وتقاليدنا ، وروحنا العربية الصميمة .

ونحن إن أردنا أن يقوم لنا كيان صلب ، فما علينا إلا أن نعتمد على أدبنا القديم ، ونستمد منه كل المقومات التى ارتكزت عليها حضارة العرب ، التى طبقت جميع أنحاء العالم ، وإن هذه الآداب الغربية التى نريد أن يتسم بها أدبنا العربى الحديث ، ما هى إلا التفصيلات التى أضيفت إلى الجوهر والنواة التى هى عماد هذه الآداب وما هذه النواة إلا قبس من حضارتنا العربية التى كانت هدياً للغربيين الذين لازالوا يتخبطون فى دياجير الجهل المطبق ، بينما العرب فى أوج مجدهم ورفعتهم . . وعليه فيجب أن نرجع إلى أدبنا العربى القديم ، ننهل من ينابيعه الفياضة ، ونقتات على موائده الشهية وثماره الناضجة . اتسم أدبنا بسمته لكى يكون نابضاً بالحياة مستطيعاً على تشييد البناء القوى العتيد للعرب . . وبين هذا الرأى ، الذى ينعى علينا أن نترشف رحيق الآداب التى أضفى عليها البشر فى تقدمهم السريع ، كثيراً من الفن والروعة ، وصاغوها بما يطابق عصرهم ويقضى حاجات مدنيتهم وحياتهم التى تعقدت وتشعبت وتشابكت أوصالها ووسائلها .

هذا الرأى الذى يريد أن نقبع فى جمودنا الثقيل . نستمد عصارة أدبنا وروحه من مجتمع يكاد أن يكون غريباً علينا بما اختلف علينا من الحوادث والوقائع ، وما يشوب حياتنا من تجديد فى طرق حياتنا ونظم معيشتنا .. مجتمع قد سبقنا بمئات السنين فهو لا يستطيع أن يسد حاجاتنا ، وأن يعبر عن خوالج أنفسنا التعبير الكامل . . لأن المدنية الحديثة قد استحدثت أشياء لم تكن معروفة ولا تخطر على بال أجدادنا العرب .. فكيف نوفق بين هذه الحاجة ، وبين الأدب القديم الذى تنقصه الاسماء الكثيرة ، والتعبيرات المتنوعة بين هذا الرأى وبين الرأى الآخر ، الذى يقول ، بأن الأدب العربى القديم ، أدب زائل لا يمكن له أن ينهض بين الأدب الحديث ويحتل مكانته السابقة . وما يجدينا الرجوع إليه وقضاء الوقت بين كتبه ومخطوطاته وهو

لن يحقق مصلحة لعصرنا ، ولن يسد فراغا هائلا فى حياتنا . أليس من الخير لنا ولأمتنا لو انصرفنا إلى الأدب الحديث الذى تتعهده دول الغرب وترسمنا خطواته واقتبسناه ، وطبعنا به أدبنا فيغدو أدبا عصريا كامل الصفات محققاً لحاجات حياتنا وهو بالتالى أدب رفيع شيق يستحق كل عناية وجهد .

بين هذا الرأى وذاك ، يتوسط رأى آخر لا هو بالنادم على ما أخذناه ودرسناه من الأدب الغربى القديم ولا على ما قبسناه من الأدب الغربى الحديث فهو لا يرى بأساً فى أن نعود إلى أدبنا القديم فنرى فيه حياة أجدادنا مصورة أصدق تصوير ونتعلم منها الاخلاق الفاضلة والسبيل الذى اعتمدوا عليه فيما وصلوا إليه من رقى وحضارة فهم أجدادنا ، تجرى فى عروقهم نفس الدماء التى تجرى فى عروقنا وحياتهم ملأى بالحوادث والاخبار والعادات التى تكاد تشابه ما لدينا ، إلا فيما طرأ عليها من تبدل فى اقتباسنا من الغرب ، ولولا ما كانوا يمتازون به من إيمان عميق وتضحية وإيثار واعتماد على النفس لكانوا شبهاً لنا ، فما أكبرها فائدة تجنيها . حين نطلع على هذا الإيمان وتلك التضحية وذلك الإيثار ، تلك الصفات الحميدة التى جعلتهم كالبنيان المرصوص ، يشد بعضهم بعضاً ، فنقتدى بهم ونترسم خطواتهم ، حينما حملوا على أكتافهم هذا العبء الجسيم فى سبيل رفع مكانتهم وإعلاء شأنهم وتأدية رسالتهم ، وقد تحقق لهم كل ذلك . فما هو السحر الذى ساعدهم على ذلك .

هذا هو الغرض الذى يحفزنا إلى الاطلاع على أدبنا القديم بحيث يسطر فى صفحاته ، روائع الاخبار ، وأعظم صفحات المجد والرقى ، فنسير على هداها ، مما يساعدنا على إقامة أركان حضارتنا ، وتدعيم نهضتنا — نطلع على السمين منها ونترك الغث الهزيل ، ففى هذا خير بل فى ذلك صلاح وتقويم ، أما الأدب الحديث فمن الواجب علينا أن نعرف عنه الشىء الكثير ، لأن ألوانه مأخوذة من مطالب المدنية الحديثة ، التى جددت فى حياتنا . . وزادت فى علاقتنا ، وطورتها كثيراً وقاربت بين البلدان المتباعدة ، فكادت أن تكون قطرا واحدا بما فاض به العلم ، من مخترعات جليلة الشأن والنفع فأية خسارة تلحقنا لو عرفنا عن كل ذلك ، وانطوينا على أدبنا القديم ، نجتره اجتراراً . نجتر «الطالح والصالح» لأنه أدبنا القديم ، وهو أدب رفيع يحقق لنا حياة أدبية زاهرة ، فأية حياة يحققها أدب يعالج حياة ماضية لقد لفها الزمان بين طياته ، وأصبحت ذكرى وخيالا أكثر مما هى دنيا قامت . . إن هذا الرأى الوسط والذى نعتقد أنه هو خير الآراء ، يقول : ألا نرى إلى الأمم التى استجابت لنداء المدنية وغيرت فى أدبها ورعته وجعلته مطواعا بيديها ، محورة فيه ، بما يوافق وطبائع العصر والتجديدات التى تطرأ عليه ، فلا الرجوع إلى القديم كلية ولا صبغ أدبنا بصبغة غربية هو الرأى المجدى لنهضة أدبنا أى الاعتدال ، بين هذا وذاك هو الرأى المصيب .

• طلب أحد الأشخاص من بقال فى « جلاسجو » إعطاءه جبناً ببنس فقال البقال إنه لا يبيع بهذا المبلغ الزهيد . فقال الزبون : إذن إعطنى ببنسين وسرعان ما لبى البقال طلبة ، فأخذ الزبون سكيناً وشطر قطعة الجبن نصفين متساويين ، وأخذ أحدهما وأعطى البقال بنساً وقال وهو ينصرف هذا هو ، إنك رجل كسلان .

• يجب أن يسقط من حساب الأمة هؤلاء الأشخاص الذين يعضدون كل حكومة . ويشايعون كل دولة . ويعبدون القوة فى أى مظهر ظهرت .
« سعد زغلول »

• لا تقطع صديقاً وإن كنى ولا تركن إلى عدو وإن شكر .

• عبد الشهوة أذل من عبد الرق .